رسالة الثناء الأحمدي التجاني

على مظهر الفتح مولانا الشيخ فتح الله البناني

(لمؤلفها)

الفقيه العلامة الأجل السيد الحاج أحمد بن الحاج العياشي سكيرج

التجاني رعاه الله

تحقيق

ذ. محمد الراضي كنون

باسمك اللهم أفتح، فقد تعودت منك الفتح اللدني بلطفك الخفي في فتح باب كل صرح، فلا يتوقف فيما انغلق من سره على شرح. والصلاة الجامعة لجميع صلات الحق، على سيد الخلق، مع السلام الدائم عليه. وعلى كل من منه وإليه، وأخص من روح حضراته تحية زكية، على ذوي النفوس الذكية، الذين شربوا من عين صفاء التصوف، ورتعوا لما ذاقوا المعنى في روض مغنى التعرف، وبالأخص منهم شيخ الطريقة الفتحية، أخانا في الله المنطوي صدره على خالص الود. في القرب والبعد، الحائز لسر الخصوصية، فتح الله الرباني، القطب (سيدي فتح الله البناني(1)) رضي الله عنه وعن شيخي الختم الأكبر التجاني، الذي بحبه ربطت حبلي بحبل الحب في جميع أهل الله. وبصدق الحب فيه انكشفت لي الحجب عن خصوصية من عرفته من أهل الله، فأنا منهم وإليهم بحمد الله، وأعوذ بالله من قول أنا إلا تحدثا بنعمة الحب في الله لله. لأكون ممن أعاذه مولاه الذي عرفني بمقامكم يا سيدي فتح الله.

وإني لأكتب إليكم في هذه السويعة الضيقة جوابا عن رقيمكم الكريم، ويدي ترتعش خجلا من مخاطبة مقامكم الرفيع، ولولا الوارد الذي أزعجني لكتب ما أنا أخطه بيدي إليكم لوقفت أمام مكاتبتكم موقف الحيران، الذي لم يفصح عما يختلج في صدره من الأسرار التي توجب عليه الكتمان، ولكنني أفشي لكم ما تجدونه من نفسكم من صدق محبتي في جانبكم الذي أعترف فيه لكم بالمزية الكبرى والكرامة العظمى، التي أثارت إخلاص المودة بيننا، فانكشف الغطاء عنا باحترام الجانبين، اللذين اتصلت وصلتهما في الله بين القلبين بلا مين ولا بين. بل اتصلت ولا تزال متصلة بيننا إن شاء الله حتى يقر الله بها أعيننا، فإنكم غرفتم من بحر المعرفة ما غرفتم، وعرفتم من الأسرار الخاصة بكم ما به طأطأ الجلة لكم رؤوسهم إجلالا لما عرفتم، وما أنا بجاحد لخصوصية خصكم الله بها من أخلاق سنية، وشمائل سنية، ومقامات عالية، ومناقب غالية، حملتكم على التنزل مع أمثالي، ولم يمنعكم تنزلكم من زرع حب المودة بين ربعي النازل وربعكم العالي، فحركتم منا البواعث للجواب عما بدأتمونا به من خطابكم المعسول، مصحوبا بهديتكم التي هي بعض تآليفكم التي بهرت بما فيها العقول، فهي للمعتقد أكبر غنيمة يذخرها. وللمنتقد أوضح كرامة لا ينكرها، جزاكم الله خيرا.

---

(1) فتح ا بن أبي بكر بن محمد بن عبد ا بن محمد بن عبد السلام بناني، صوفي جليل، ولد بمدينة الرباط عام 1281هـ، وبها توفي في 11 محرم الحرام عام 1353هـ، موافق عام 1933م، ودفن بزاويته بالسويقة بالرباط، وقد أخذ الطريقة الشاذلية الدرقاوية الدباغية عن أصحاب والده العلامة الصوفي أبي بكر بن محمد بناني، فنبغ فيها حتى أصبح واحدا من خيرة شيوخها، وله مؤلفات قيمة منها : المجد الشامخ فيمن اجتمعت بهم من أعيان المشايخ، وتحفة أهل الفتوحات والأذواق في اتخاذ السبحة وجعلها في الأعناق، وإتحاف أهل العناية الربانية في اتحاد طرق أهل ا وإن تعددت مظاهرها الحقانية، وخلاصة الوفا في مقدمة الشفا، وفتح ا في مولد خير خلق ا ، وتحفة الأحباب فيمن تكلم في المهد بالأمر العجاب، والنصيحة الوفية، وتحفة الأصفياء في بيان القول بعصمة الأنبياء، وغيرهم.

ومدح الشيخ فتح ا بناني بقصائد كثيرة منها قصيدة لتلميذه سيدي أحمد الزعيمي قال في مطلعها :

إن شئت أن تحضى بفتح ا فاسلك سبيل الشيخ فتح ا

ومنها قصيدة لمصطفى ملين قال في مطلعها :

مواهب فتح ا أهدت لنا البشرى هنيئا لمن قد جاء يسمع أو يقرا

ولتلميذه محمد بن أحمد سباطة تصنيف في ترجمته سماه : الفتح الرباني في التعريف بالشيخ فتح ا بن أبي بكر البناني، أنظر ترجمته في أعلام الفكر المعاصر لعبد ا الجراري ج 2 ص 377، وفي معجم المطبوعات لسركيس 589، وفي طبقات الشاذلية للكوهن الفاسي 174-188، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 134.

وإني لا ألوم من جحد سر الخصوصية بعد الكشف له عنها، ولا من أنكر اللطائف العرفانية إن لم يذق منها(2)، على أنه ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي حسدا، فلا يهمكم المنكرون على الطرق، وإن صعدوا لأعلى الأفق، فقد تحققتم بمقامكم فلا يضركم مقال، وجليتم على أبهج المجالي فلا يغر محبيكم من جال بالإنكار على الصوفية في أفسح مجال. فبأمثالكم في هذا العصر يحق الإقتداء، لطالبي الاهتداء، وبأمثالكم يؤيد الله طريقة القوم، في اليقظة وفي النوم، فقد ظهرتم في أبدع مظهر قصمتم(3) فيه ظهر كل منكر. يحسب المعروف من المنكر، ولعله مشغوف بأن يكون له مثل ما أنكر. وقد حيل بينه وبين ما اشتهاه من ذلك، فهو ينكر ما هنالك، وما هو بمدرك لمناه، حتى ينهض من درك حضيض(4) النفس المنحط به في مهواة رداه، وما دام لم يتب من سوء ظنه لم يوفق للإعتقاد في أمثالكم الذين يأخذون بأيدي المريدين لنيل المراد، فإنكم ممن تضرب لكم أكباد الإبل من أقصى البلاد، لطلب الرشاد المصلح للعباد، ترشدونهم بالحال والهمة، وتعرفونهم من الله بحق النعمة، ومثلكم من يرقي بالنظرة الأولى، ويمد محبيه من المدد الخاص والعام باليد الطولى.

وقد شاهدت من مكارم أخلاقكم ما أوجب علي أن أشكركم عليه ليكون لكم إعلامي به عونا على أداء حق شكر من منحكم بذلك (وقليل من عبادي الشكور)(5) فالحمد لله الذي وفقنا لذلك من غير تعمل، ولا مداهنة في التذكير بنعمة الله في أيام الله، ولقد كنت حدثتكم بما كان حدثني به مفتي الحضرة الفاسية، مؤلف المعيار الجديد، أبو عيسى الشريف العمراني سيدي المهدي الوزاني(6)، عمته الرحمة، مما يدل على علو المكانة التي تمكنتم فيها منذ أعوام، في المشهد العظيم

---

(2) الإشارة هنا لأبي عبد ا محمد بن محمد بن المؤقت المراكشي، حيث كان من تلامذة الشيخ فتح ا البناني المواضبين على محبته والملازمين لورده وأذكاره، لدرجة أنه صنف في ذلك كتبا منها : معارج المنى والأماني في التعريف بشيخنا القطب مولانا فتح ا البناني، ونتائج الأفكار الحقية في مدح الطريقة الفتحية، وغيرهما من التآليف الأخرى المتعلقة بالتصوف.
لكنه سرعان ما انقلب ضده، وأنكر عليه، ونسبه للبدعة في كتابه الأخير المسمى : الرحلة المراكشية ومرآة المساوي الوقتية، ولم يكتفي بالإنكار على شيخه المذكور بل تمادى في الإنكار فيه على مجموعة من الطرق الصوفية بالمغرب، ولهذا رد عليه العلامة سكيرج مفندا ادعاءاته الباطلة، وترهاته الزائفة، بتأليف سماه : الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوي الوقتية.

(3) قصمتم : كسرتم.

(4) حضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل، وهو مفرد أحضة وحضيض، وعند أهل الهيئة هو النقطة المقابلة للأوج.

(5) سورة سبأ، الآية : 13.

(6) سبق التعريف به في هذا الكتاب ج 1 ص 40.

الذي شاهده في رؤيا صالحة(7)، والرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، وقد رآها لكم وهو صالح، وهي في حقكم سر واضح، وقد ضمنتها في الأبيات التي واعدتكم بإنشائها في حقكم، فجاءت على قدر، من غير إتعاب نظر، بتحريك همتكم لهمتنا، وتذكيركم لنا بالوفاء بالعهد، فبرزت بكر فكر، تجر ذيول الفخر بثنائها على محاسنكم، راجيا أن تحل لديكم محل قبول، مسلما عليكم نجلنا عبد الكريم بأتمه، وسأكتب للأخ(8) بطنجة بما حملتمونا من سلامكم عليه، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وعلى كل من هو منكم وإليكم، من محبكم المخلص خديم الحضرة التجانية أحمد سكيرج التجاني، عامله الله باللطف، وأحيا قلبه يوم تموت القلوب، محفوفا برداء العافية دنيا وأخرى مع أحبائه آمين، ونص الأبيات :

لي الله إني في الورى أفقر الخلق	ومن كان مثلي لا يعاند في الحق
أنا في العلى توجت تاج عناية	بحبي أهل الله والله بالصدق
وعن مبدئي ما حدت(10) في حبهم إلى	معاداتهم لم لا وهم سادة الخلق
وقد نلت مقصودي بصدق ولائهم	ومدحي لهم في الخلق قد صار من خلقي
وإني لتجاني الطريق حقيقة	بقلبي ثوى الحب الحقيقي في الطرق
أدافع عن أهل الولاية بالتي	بها صار لي صيت لدى الغرب والشرق
لقد علم القوم الذين اعتنوا بهم	بأني في ميدانهم فزت بالسبق
وقد علم القوم الذين تحزبوا	عليهم بأني كالشجا قام في الحلق
وكم من جسور(11) بينهم قد أذقته	مرارة إنكار به صار كالزق(9)
قد انتفخت أوداحه وتوترت(13)	دواخله وانفش من علة الخرق(12)
ولست أوالي المنكرين لهم ولو	على يدهم قد كان قدر لي رزقي
فيا أهل ودي والولاية شأنها	عظيم برغم المنكرين على الطرق
هلموا بنا نسعى لربط قلوبنا	بحبل إخاء دام بالحق في الحق

(7) قال العلامة سكيرج في كتابه الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوئ الوقتية ج 2 ص 75 ما نصه : ولقد كان أخبرني مجيزنا مفتي الحضرة الفاسية العلامة الشهير أبو عيسى الشيخ سيدي المهدي الوزاني رحمه ا برؤيا كان رآها في حق الشيخ سيدي فتح ا البناني في مشهد حفيل بمكة المشرفة، وكان الحاضرون في تلك الرؤيا يتفاوضون فيمن يتفقون على انتصابه في منصب القطب الذي خيل له أن توفي في وقته، وبينما هم في المفاوضة وهو يرى ويسمع في تلك الواقعة إذ دخل عليهم الشيخ فتح ا البناني المذكور، فقالوا هذا هو القطب، واتفقت كلمتهم على توليته بختم الفاتحة عليه، فاستيقظ مجيزنا المذكور فكان من المعتقدين فيه منذ رأى تلك الرؤيا، ولم يخبره بها، فأخبرته بها، ففرح بذلك فرحا تاما، واقترح علي تضمين ذلك في أبيات عسى أن يحقق ا رجاءه بتلك البشارة.

(8) المراد به سيدي محمد بن العياشي سكيرج، وقد سبق التعريف به في ج 1 ص 33 من هذا المؤلف.

(9) الزق : يقال كبش مزقوق، أي سلخ من رأسه إلى رجله.

(10) حدت : ملت.

(11) جسور : متطاول.

(12) الخرق : هو أن لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور.

(13) توترت : انفزعت.

ونرمي وراء الكل حقدا أثاره ... هوى لم يزل يعمي ويصمي ذوي المذق(14)
فإن تختلف منا المشارب نتفق ... على نشر علم الدين فهو لنا المرقي
ونربط بالحبل المتين قلوبنا ... وندخل حصننا دائما غير منشق
وننظر للأشياخ من أهل عصرنا ... بعين الرضى إن الرضى مظهر الحق
فإنا نرى فيهم محاسن ما محا ... سناها مرور الدهر بالألسن الذلق(15)
وقد غير الإنكار منكم قلوبهم ... وتغييرها مازال متسع الخرق(16)
متى خارق العادات يرقيه منكم ... جميل اعتقاد يذهب الفتق(17) بالرفق(18)
فما اتحدت يوما قلوب تنافرت ... بسوء اعتقادات تصد عن الحق
وما اتخذت للحق قوم وسيلة ... لدى الحق إلا أحرزوا قصب السبق
فأما أناس عاندوا الحق جهرة ... فإن الذي حازوا يرى خلب(19) البرق
وعما قريب يفقدون سناءه ... ولا يبصرون الحق في سائر الطرق
لعمري لقد سار الشيوخ على هدى ... وكلهم يهدي إلى الحق بالحق
وإن تكن الأغراض منهم لواحد ... فإعراض بعض الناس عنهم من الحمق
ووالله فتح الله ما ناله امرؤ ... غدا بانتقاد غرسه بالهوى مسقي
ولكن فتح الله يحظى به امرؤ ... يسالم أهل الله في الناس بالرفق
ويعطي لفتح الله بالحق حقه ... فقد جاء بالفتح المبين لذي الصدق
هو الشيخ بناني الذي في العلا بنى ... منار هدى قد شاده في ذرى الطرق
أجل فهو فتح الله في العصر منقذ ... لأصحابه في المجد أضحى لهم يرقي
تآليفه تنبيك عن حسن نية ... لها همة ترقي وللجهل لا تبقي
ومجلسه لو أنت يوما حضرته ... سكرت به في حضرة الجمع والفرق
يسليك عما أنت تلقاه من أسى(22) ... بما لك يلقي من فنون بها مسقي
معارفه تشفي الكروب وإنها ... لمن عاندوه من جحودهم(20) تشقي
أنا لي اعتقاد فيه مع حسن نية ... أنال بها سرا على رمقي(21) مبقي
ولي حسن ظن دام في كل ما ولي ... لكوني تجانيا أحب ذوي الحق
وقد حضني شيخي على حب مثله ... وحبل كمال الحب لازال في عنقي

---

(14) المذق : المماذق هو غير المخاص.
(15) الذلق : لسان ذلق أي طلق.
(16) الخرق : الممزق.
(17) الفتق : الشق بمعنى التفرقة، وشق عصا الجماعة ووقوع الحرب بين أهلها.
(18) الرفق : اللطف ولين الجانب.
(19) خلب : البرق الخلب بمعنى المطمع المخاف.
(20) جحودهم : إنكارهم مع العلم.
(21) رمقي : بقية حياتي.
(22) الأسى : الحزن.

وفي فتح الله عندي شواهد ومنها مزايا لا تسطر في رق(23)
وإني إذا كلفت نفسي حصرها انقضت دون إحصائي بعدي لها ورق
فقد حدثتني سادة بمقامه وما كان منهم واحد نافخ الشدق(24)
وحدثني المفتي بفاس أبو الهدى المؤلف للمعيار عن سره المرقي
فقال لقد شاهدت نفسي بمكة وجمعا يرى من سادة الغرب والشرق
قد اجتمعوا والنور يعلو وجوههم لأمر عظيم نوره ضاء في الأفق
وقالوا من المختار منا نخصه بميراث قطب الوقت بين ذوي السبق
فقد مات قطب الوقت والقطب سره عظيم عديم المثل بين ذوي الطرق
فقالوا جميعا نحن نختار بيننا لذلك فتح الله في طرق الحق
وأقبل فتح الله حينا عليهم وقاموا له مستبشرين ذوي رفق
وقالوا له بشراك نلت مزية فأنت بها ترقى وأنت بها ترقي
لتحي طريق القوم ما طلب الهدى مريد وحاز الفتح في الناس ذو صدق
ولا زال فتح الله بالسر فاتحا خزائن أسرار بها نافع الخلق
ويهدي لهم ما صار يهدي به إلى رضا الله في الدارين في الغرب والشرق
وها بكر فكري طبق وعدي زففتها(25) له وفق ما يرضى مطوقة العنق
تجر ذيول الفخر لما تجردت(26) بحق عن الأغراض في الحب بالصدق
وما لي ما أهدي إليه سوى الدعا وغير الثنا مما إليه أنا ملقي
ليحيا رفيع القدر بين ذوي الهدى فيحيا به نهج التصوف بالحق
ومني سلام عم أهل وداده بكامل سر لا يعبر بالنطق

فهذه نفثة مصدور صدرت، لا عن روية، ولكن عن حب خالص، من محب مخلص في محبتكم بين أهل الله، وأرجو أن تدوم خالصة غير ناقصة، ونحن على العهد نرعى الذمام، وعلى الأخوة في الله والمحبة والسلام(27).

عبد ربه أحمد سكيرج التجاني أمنه الله

---

(23) رق : جلد رقيق يكتب فيه.
(24) الشدق : طفطفة الفم من باطن الخدين.
(25) زففتها : أهديتها.
(26) تجردت : تعرت.
(27) طبعت هذه الرسالة على نفقة المبعوث بها إليه، الولي الصالح العلامة الشيخ سيدي فتح ا البناني، وكان ذلك بالمطبعة الوطنية لصاحبها عباس التناني، بدرب الفاسي بمدينة الرباط، عام 1349هـ - 1930م.